منهج الشيخ اطفيش في شرحه "شرح مختصر العدل والإنصاف"

أ. داودي كريم
كلية الحقوق/ سيدي بلعباس

إن الناظر في ضروب الثقافة الإسلامية يجد نفسه مضطرا إلى الوقوف أحيانا عند محطات علمية مثيرة الإهتمام في تاريخنا الوطني ، ولعل أبرز تلك المحطات الشخصيات العلمية الجزائرية المتميزة، التي كان لها الأثر الكبير في الحفاظ على الشخصية الوطنية أمام الغزو الفرنسي خلال المرحلة الإستعمارية، و في نفس الوقت أثرت المكتبة الإسلامية في فنون متنوعة، وإنه ليس ببعيد عن الصواب :إذا قلنا إن الشيخ اطفيش الشهير "بقطب الأئمة" من أبرز الشخصيات التي مثلت الثقافة الوطنية في العهد الإستعماري ، فهو الإمام اللغوي القدير ،والأديب الأريب ،والفقيه الحكيم، والمفسر البارع، والأصولي المحقق، من أجل ذلك أردت أن أدرس جانبا من إضافات هذه الشخصية الفذة في مجال أصول الفقه، واخترت كتابه الذي مازال مخطوطاوهو "شرح شرح مختصرالعدل والإنصاف" المسمى "فتح الله الرحمان"

وقسمت هذا البحث الصغيرإلى ثلاثة عناصر هي على النحو التالي : التعريف بالشيخ اطفيش ،وبيان ثقافته التي جعلته يتمكن من شرح كتاب في الأصول ،ثم التعريف بالمخطوط،واستعراض منهج صاحبه فيه ،وفي الأخيرعقدت خاتمة موجزة.

التعريف بالشيخ اطفيش:

اسمه ونسبه ومولده:هوامحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمان بن عيسى بن اسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي اطفيش، وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاني، من العائلة الحفصية المالكة بتونس بين (625_983هـ/ 1229-1574م)[1] ،عرف بقطب الأئمة لغزارة علمه.،ولد بمدينة بني يزقن ولاية غرداية جنوب الجزائر سنة1237هـ الموافق لسنة1821م.[2]

نشأته وحياته:عاش بمدينة بني يزقن، وفي الرابعة من عمره توفي والده وتركه يتيما تحت كفالة والدته، توسمت فيه بوادر النبوغ،فعهدت به إلى أحد المربين لحفظ القر آن وهو ابن ثمان،فأخذ مبادىء النحو والفقه عن أخيه الأكبر: إبراهيم ابن يوسف، وتلقى مبادىء المنطق عن الشيخ سعيد بن يوسف ونتن.[3]

وكان يحضرحلقة الشيخ عمر بن سليمان نوح، وحلقة الشيخ الحاج سليمان بن عيسى، كما كان يحضر دروس الشيخ بابا بن يونس وكل ذلك في غرداية[4].

هذه الحلقات مكنته من الإطلاع على أمهات الكتب في جميع الفنون لوحده ،فكان دأبه الحرص على إقتناء الكتب، ومما ساعده على التحصيل اقتناؤه لبعض خزائن العلماء: منها خزانة الشيخ ضياء الدين

الثميني[5]، بالإضافة إلى المكتبة التي ورثتها زوجته عن أبيها فقد تزوج بامرأة من بيوت العلم في المنطقة.[6]

ولما بلغ السادسة عشر من عمره، جلس للتدريس والتأليف في مختلف فروع الثقافة الإسلامية،

استطاع من خلالها تجديد المذهب الإباضي في القرن العشرين.

كما أنشأ معهدا لتدريس الثقافة الإسلامية ببني يزقن ،قصده الطلبة من مختلف البلدان ،تخرج منه علماء ومصلحون ومجاهدون في المغرب والمشرق.[7]

تلاميذه:

صار الشيخ اطفيش إماما في فنون متعددة فتفرغ للفقه والتحديث، فانهال عليه الطلبة من مختلف الأقطار الإسلامية ،ونذكر منهم أشهرهم: من الجزائر:

1-إبراهيم بن عيسى أبو اليقضان : رائد الصحافة العربية في الجزائر.
2-إبراهيم اطفيش أبو إسحاق :نزيل القاهرة قام بتحقيق كثير من كتب شيخه وطبعها.[8]
3-عمر بن حمو بكلي .
4-يوسف حدبون .
5-صالح بن عمر لعلي.
6- بابكر بن الحاج مسعود.

أما من تونس:نجد المؤرخ سعيد بن تعاربت، ومن ليبيا فيذكر المجاهد بالسيف والقلم الداعية سليمان الباروني، ومن المدينة المنورة أحمد الرفاعي وغيرهم كثير ممن بلغ المشيخة[9]

تصانيفه:

بارك الله في عمر الشيخ فقد عمر ستة وتسعين عاما،وكان حريصا فيها على الكتابة في حضر أوسفر، فألف في بني يزقن، والقرارة ،وورقلة، وبريان، والحجاز، وفي السفينة قاصدا الحج[10]،فتمكن من التأليف في جميع العلوم الإسلامية في عصره ، وحرص على أن يبرز فيها أصالة المدرسة الإباضية ،وإن لم يطاوعه فن التأريخ كما طاوعته بقية الفنون.

ففي تفسير القرآن له ثلاثة تفاسير هي :

-داعي العمل ليوم الأمل: مجلد واحد كبيرلا يزال مخطوطا بمكتبة القطب ببني يزقن .

-تيسير التفسير :مطبوع ومحقق في سبع مجلدات ضخمة سنة 1982م.

-هيمان الزاد إلى دار الميعاد:طبع سنة 1980م في 13مجلدا.

في النحو واللغة والعروض والبلاغة: فنجد معظم كتبه في علوم اللغة مازالت باقية مخطوطة لم تحقق نذكر منهامايلي:

-شرح شواهد القزويني: مخ.

-بيان البيان :مخ.

-قصبدة الغريب: مخ.

-شرح لامية الأفعال.

-شرح شواهد الوضع: مخ.

-تخليص العاني من ربقة جهل المعاني :مخ.

أما في الفقه فقد كثرت مؤلفاته نذكر أهمها:

-شرح كتاب النيل وشفاء العليل:هذا الكتاب يعد معتمد الإباضية في الفقه ،طبع في عشرين مجلدا.

-ترتيب المدونة الكبرى لأبي غانم الخراساني ط.حجرية .

-الذهب الخاص المنوه بالعلم القالص.

-شامل الأصل والفرع : كتاب فقه ،وقف عند صلاة السفر ولم ينته منه.

-حكم الدخان[11].

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعلم والجهاد شهد له بذلك علماء كثيرون منهم: الشيخ محمد عبده ،والشيخ زيني دحلان، وبعض علماء الحجاز،وعمان .

توفي –رحمه الله – بمرض دام أسبوعا سنة **1914م**[12]

التعريف بالمخطوط:

الكتاب عنوانه" **فتح الله الرحمان الأجل الجزيل الأكمل**" للشيخ أمحمد بن يوسف اطفيش الشهير بقطب الأئمة.

توجد نسخة وحيدة من هذا الكتاب في مكتبة القطب ببني يزقن تحت رقم أه:ا .وهي بخط المؤلف، وتقع في ثلاثة مجلدات ضخمة[13] .

عدد أوراقها في الجزء الأول 223ورقة.

في الجزء الثاني 351ورقة.
في الجزء الثالث 162ورقة.

مسطرتها :سين34 و35سطرا.

مقاسها :31سم ×20سم.

إلا أن القارىء لهذا المخطوط يجد أن كل ماورد في الجزء الثالث من الورقة 1إلى الورقة رقم 90هو إعادة لما جاء في الجزء الثاني، وإذا حذفنا هذا العدد من الأوراق من الجزء الثاني يبقى فيه 258ورقة، وبالتالي يكون مجموع أجزائه الثلاثة 733ورقة، وعدد صفحاته 1466صفحة ذات الورق الكبير، وهي بخط المؤلف وخطه دقيق.

تاريخ النسخ غير مذكور فيها، وهي بخط المؤلف، كما أنها سالمة، وخطها مقروء ،وهذا الشرح غير كامل.

والكتاب عبارة عن شرح كتاب" شرح مختصر العدل والإنصاف" لأبي العياس أحمد بن سعيد الشماخي (ت928هـ) [14]وهذا ما ذكره في مقدمته بقوله " وأن يعينني على شرح مختصر العدل و الإنصاف "ويقع هذا المتن المشروح من قبل القطب في تسع وثمانين ورقة، قام الباحث مهني التوجني بتحقيقه ودراسته في رسالة دكتورة بالكلية الزيتونية للشريعة ،وأما كتاب" العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والإختلاف" فهولأبي يعقوب بن إبراهيم الوارجلاني، من علماء الجزائر في القرن السادس

الهجري[15]، أول مؤلف أصولي جزائري وصل إلينا _ استقصى فيه مؤلفه جميع الأبواب الأصولية- حقق هذا الكتاب الدكتور عمرو خليفة النامي[16]،جمع الوارجلاني في كتابه قضايا الأصول بصورة شاملة ومسائل علم الكلام، فجاء الشماخي من بعده ،فنقحه من علم الكلام، وجعله خالصا لقضايا الأصولية ،كما أضاف إليه مسائل كثيرة من كتب أصولية أخرى، وبوبه في عشرة أبواب.

المقدمة في حد أصول الفقه ومباحث اللغة ودلالات الألفاظ.

الباب الأول في المجمل والمبين.
الباب الثاني في الأمر والنهي .
الباب الثاث في الظاهر والمحكم .
الباب الرابع في الخاص والعام .
الباب الخامس في المنطوق والمفهوم.
الباب السادس في الخبر .
الباب السابع في النسخ.
الباب الثمن في الإجماع .
الباب التاسع في الإجتهاد .
الباب العاشر في القياس .
الخاتمة في التعارض والترجيح.

وتتوزع مباحث المخطوط"فتح الله الرحمان" على النحو التالي:

تناول في الجزء الأول: شرح مقدمة الشماخي حول حد أصول الفقه، ومباحث اللغة والدلالات، ولم يشرع في شرح الباب الأول وهو الباب المجمل إلا في آخر الجزء الأول، أما الجزء الثاني: فيبدأ بمباحث البيان ،وينتهي بفهوم اللقب ضمن أنواع مفهوم اللقب مع إيراد الجدل الطويل حول حجيته، وفي الجزء الثالث: تكملة صغيرة ورقتان لمباحث مفهوم المخالفة ثم خصص بقية الجزء لباب الخبر وهو الباب السادس من شرح الشماخي ،وانتهى بمسألة إذا تعارض القياس وخبر الأحاد ولم يمكن الجمع بينهما فما العمل؟

وبقيت أربعة أبواب كاملة من كتاب الشماخي دون شرح، فهل ضاعت أم أن القطب لم يشرحها أصلا ؟

يذكر القطب في كتابه شرح النيل، بعد إيراده لتعريف الرخصة مايؤكد أنه أكمل الكتاب حتى الخاتمة"بقوله " وقد بسطت الكلام على ذلك في شرحي على شرح مختصرالعدل وهو قدر النيل أربع مرات أو أكثر وكتاب النيل يقع في ثلا ثة أجزاء متوسطة الحجم "[17]وهذا مايؤكده السيد سليمان بكاي أحد تلاميذ القطب: بأن القطب شرح الكتاب كاملا وشرحه يقع في ستة مجلدات[18]، ويبدوا أن المجلدات الثلات المتبقية قد ضاعت ،وهذا مارجحه الدكتور مصطفى باجو، بسبب إنتقال الكتاب بين الجزائر وليبيا وعمان ،من خلال المراسلات التي كانت بين العلماء[19].

منهجه في المخطوط:

يمكن إستخلاص طريقة القطب في كتابه هذا في النقاط التالية:

-إسم الكتاب يدل على تواضع العلماء فهو يبرء من حوله إلى حول الله ومن قوته إلى قوة الله وأن هذا الجهد ماهو إلا فتح من الله على عبد فقير.

1-يضع متن الكتاب المشروح بلون الأحمر، ويليه شرحه بلون أسود.

2-طريقته في تقعيد الأصول هي طريقة الجمهور، وهي الإنطلاق من القواعد الأصولية لاستخراج الفروع الفقهية، عكس الحنفية الذين ينطلقون من الفروع الفقهية لبناء القواعد الأصولية .[20]

3- تبيان الأراء الأصولية للمذهب الإباضي[21].

4- التمثيل لكل قاعدة أصولية: ففي مبحث البيان ذكر أنواع البيان، وأعطى مثالا لكل واحد منها لتوضيح القاعدة.[22]

5-يهتم بالشرح اللغوي والإصطلاحي، خاصة القواعد الأصولية وضبط المتن من حيث الإعراب[23].

6 -إستغلال القواعد المنطقية في شرحه، وهذا ما وجدناه في تعريفاته المتنوعة مرة بالعرض والجنس وأخرى بالماصدق ...[24]

7- عرض مختلف الأراء الأصولية في القضية ،كما فعل في تعريف العقل، فتعرّض لتعريف الأشعرية ثم المعتزلة[25].

8-التأصيل الشرعي للقواعد الأصولية ،بذكر أدلة مشروعيتها من الكتاب والسنة[26].

9-الجمع بين العقل والنقل في شرحه دون تعصب ،ويقول في ذلك "المذهب لايكون حجة على المذهب بل الحجة للقرآن أو السنة أو الإجماع أو العقل في الأمور العقلية".[27]

10-تحقيق القضايا الأصولية، بعرض أدلة كل فريق، ومناقشتها مناقشة علمية ،وتبيان الراجح منها ،وكنموذج على ذلك ماجاء في قضية تعارض الخبر والقياس.[28]

11-الأمانة العلمية في نقل النصوص والآ راء ونسبتها لأصحابها،فيذكره بلفظه أو نقل بتصرف.

خاتمة :

بين هذا المقال مايلي:1- دور المساجد في إخراج العلماء وأن العلم وجد من يحمله في هذا الوطن ولوفي أصعب الضروف الإستعمارية .

2-يكشف هذا المخطوط عن موسوعية في الإطلاع على أراء الأصوليين ،وطول نفس في البحث وإستقصاء المسائل ،سواء تعلقت بالأصول أم بالكلام أم باللغة والنحو، ومقدرة على التحليل والنقد والترجيح .

3-عدم التعصب لمذهبه في شرحه فقد أخذ من كتب أصول المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة ،كما استدل من كتب السنن المعتمدة عند أهل السنةفي الحديث،ولم يقتصر على ماجاء في كتاب الربيع بن حبيب من أحاديث المعتمد في المذهب.

4- بين المقال التواصل العلمي بين علماء الجزائر والعلماء من الأقطار الإسلامية عن طريق الرحلات والمراسلات.

5- دراسة أصول الإباضية من مصادرهم منطلق سليم لإقامة حوار علمي جاد بين أصول المالكية و الإباضية في الجزائر،وهذا المخطوط يمثل أحد مظان هذه الأصول .

الهوامش:

1مقدمة الذهب الخالص للقطب اطفيش بقلم إبراهيم اطفيش ص ا،معجم علماء الإباضية تأليف مجموعة من الأساتذة طبعة الأولى سنة 1999 لجمعية أبي إسحاق غرداية الجزائر. ج2 ص399.

[2] علي معمر الإباضية في موكب التاريخ ج1 ص83.

[3] مقدمة كتاب الوضع ص09للجناوني.

[4] معجم أعلام الإباضيةج2 ص399.

[5] الثميني عبد العزيز (1130هـ/ 1223هـ) عالم فقيه متكلم مصلح، ولد ونشأ ببني يزغن بالجزائر، تولى مشيخة العزابة من مؤلفاته كتاب النيل وشفاء العليل، معجم أعلام الإباضية، المغرب، ترجمة رقم 555.

[6] مقدمة الذهب الخالص بقلم الشيخ ابراهيم اطفيش ص6.

[7] مصطفى ونتن آراء الشيخ امحمد بن يوسف أطفيش العقدية ص32.

[8] توفي أبو إسحاق أطفيش، ولد 1886م من علماء الجزائر له باع طويل في الفقه،ت 1965م من أبرزتلاميذة الشيخ محمد أطفيش من مؤلفاته المحكم والمتشابه وعصمة الأنبياء، معجم علام الإباضة، ترجمة 37.

[9] أعوشت بكير :قطب الأئمة حياته وآثاره الفكرية ص123.

[10] مجموعة من الأساتذة معجم أعلام البإباضية ج2 ص401.

[11] مقدمة الذهب الخالص ص12للمؤلف ،جمعية التراث :دليل المخطوطات ، فهرس مكتبة القطب ،يراجع ندوة الفقه الإسلامي المنعقدة في سلطنة عمان :مفال للشيخ فرحات الجعبري بعنوان «دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة» ص290.

[12] علي معمر الإباضية في موكب التاريخ ج4ص325.

[13] لدى الباحث صورة فتوغرافية في قرص مضغوط من هذا المخطوط ،قمت بتصويرها من مكتبة القطب ببني يزقن بغرداية.

[14]. أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت928)، للبيي الأصل، ثم انتقل إلى الجنوب التونسي وبلغ من العلم غايته، من مؤلفاته مختصر العدل والإنصاف وشرحه، معجم أعلام الإباضية، ترجمة رقم 80.

[15]. أبو يعقوب الورجلاني 500-570 هـ علم أصول متكلم فقيه أباضي، ولد في ورقلة بالجزائر، له عدة مؤلفات أهمها العدل والإنصاف راجع كتاب اليبر للشماخي ج2 ص105.

[16] عمروخليفة النامي و1358ه ولد بلبيا تحصل على دكتورة في دراسة المذهب الإباضي وحقق كتبا في المذهب من بينها كتاب قناطير الخيرات لجيطالي معجم أعلام الإباضية قسم المغرب ترجمة 688..

[17] كتاب النيل ج1 ص57.

[18] راجع مقدمة الذهب الخالص بقلم الشيخ ابراهيم اطفيش ص ه

[19] . نقل هذا الأستاذ باجو مصطفى في كتابه أبو يعقوب ص166

[20] . فتح الله الرحمان ج1ص5

[21] . نفس ا لمخطوط ج2ص.358.

[22] نفس المصدر ج2 ص2.ص3.

[23] . نفس المصدر ج1 ص3 وج2 ص262.

[24] نفس المصدر ج1ص40

[25] . نفس المصدر ج1 ص7

[26] نفس المصدرج1 ص4.

[27] نفس المصدر ج2 ص218.

[28] نفس المصدر ج3 ص161.

.احق:الصفحة الأولى من

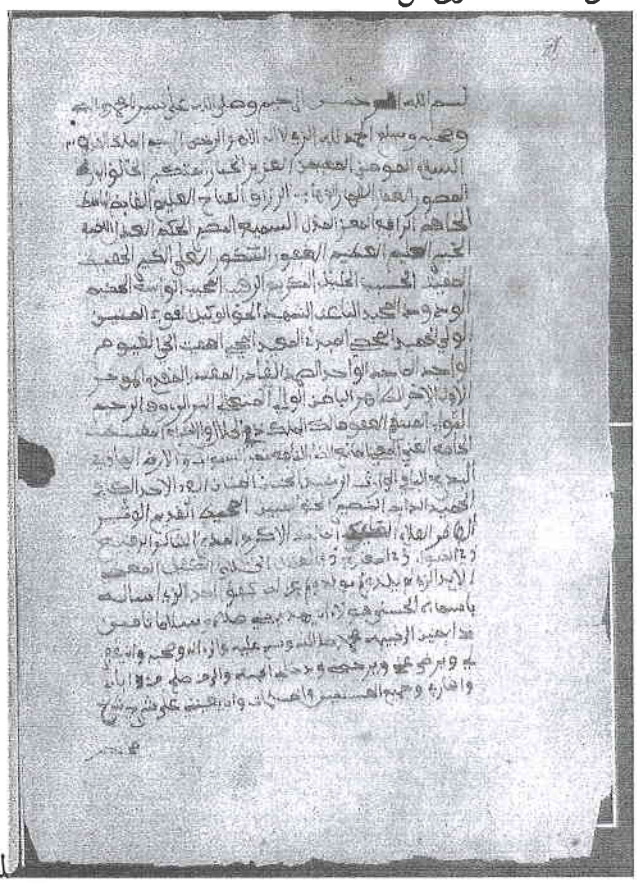

لخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط.